وعسى : فعل رجاء . وهي من كلام ا تعالى المخاطب به النبي A فهي كناية عن وقوع المرجو وأن ا قد تاب عليهم ؛ ولكن ذكر فعل الرجاء يستتبع معنى اختيار المتكلم في وقوع الشيء وعدم وقوعه .

ومعنى (أن يتوب عليهم) أي يقبل توبتهم وقد تقدم عند قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) في سورة البقرة .

وجملة (إن ا غفور رحيم) تذييل مناسب للمقام .

(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم وا سميع عليم) لما كان من شرط التوبة تدارك ما يمكن تداركه مما فات وكان التخلف عن الغزو مشتملا على أمرين هما عدم المشاركة في الجهاد وعدم إنفاق المال في الجهاد جاء في هذه الآية إرشاد لطريق تداركهم ما يمكن تداركه مما فات وهو نفع المسلمين بالمال فالأنفاق العظيم على غزوة تبوك استنفد المال المعد لنوائب المسلمين فإذا أخذ من المخلفين شيء من المال انجبر به بعض الثلم الذي حل بمال المسلمين .

فهذا وجه مناسبة ذكر هذه الآية عقب التي قبلها . وقد روي أن الذين اعترفوا بذنوبهم قالوا للنبي A : هذه أموالنا التي بسببها تخلفنا عنك خذها فتصدق بها وطهرنا واستغفر لنا فقال لهم : لم أؤمر بأن آخذ من أموالكم . حتى نزلت هذه الآية فأخذ منهم النبي A صدقاتهم فالضمير عائد على آخرين اعترفوا بذنوبهم .

والتاء في (تطهرهم) تحتمل أن تكون تاء الخطاب نظرا لقوله (خذ) وأن تكون تاء الغائبة عائدة إلى الصدقة .

وأياما كان فالآية دالة على أن الصدقة تطهر وتزكي .

والتزكية : جعل الشيء زكيا أي كثير الخيرات . فقوله (تطهرهم) إشارة إلى مقام التخلية عن السيئات . وقوله (تزكيهم) إشارة إلى مقام التحلية بالفضائل والحسنات . ولا جرم أن التخلية مقدمة على التحلية . فالمعنى أن هذه الصدقة كفارة لذنوبهم ومجلبة للثواب العظيم .

والصلاة عليهم : الدعاء لهم . وتقدم آنفا عند قوله تعالى (وصلوات الرسول) . وقد كان النبي A بعد نزول هذه الآية إذا جاءه أحد بصدقته يقول : اللهم صل على آل فلان . كما ورد في حديث عبد ا بن أبي أوفى يجمع النبي A في دعائه في هذا الشأن بين معنى الصلاة وبين لفظها فكان يسأل من ا تعالى أن يصلي على المتصدق . والصلاة من ا الرحمة ومن النبي

الدعاء .

وجملة (إن صلواتك سكن لهم) تعليل للأمر بالصلاة عليهم بأن دعاءه سكن لهم أي بسبب سكن لهم أي خير . فإطلاق السكن على هذا الدعاء مجاز مرسل .

والسكن : بفتحتين ما يسكن إليه أي يطمأن إليه ويرتاح به . وهو مشتق من السكون بالمعنى المجازي وهو سكون النفس أي سلامتها من الخوف ونحوه لأن الخوف يوجب كثرة الحذر واضطراب الرأي فتكون النفس كأنها غير مستقرة ولذلك سمي ذلك قلقا لأن القلق كثرة التحرك . وقال تعالى (وجاعل الليل سكنا) وقال (وا جعل لكم من بيوتكم سكنا) ومن أسماء الزوجة السكن أو لأن دعاءه لهم يزيد نفوسهم صلاحا وسكونا إلى الصالحات لأن المعصية تردد واضطراب كما قال تعالى (فهم في ريبهم يترددون) والطاعة اطمئنان ويقين كما قال تعالى (ألا بذكر ا تطمئن القلوب) .

وجملة (وا سميع عليم) تذييل مناسب للأمر بالدعاء لهم . والمراد بالسميع هنا المجيب للدعاء . وذكره للإشارة إلى قبول دعاء النبي A . ففيه إيماء إلى التنويه بدعائه . وذكر العليم إيماء إلى أنه ما أمره بالدعاء لهم إلا لأن في دعائه لهم خيرا عظيما وصلاحا في الأمور .

جعفر وأبو بكر أبي رواية في وعاصم عامر وابن عمرو وأبو كثير وابن نافع وقرأ A E ويعقوب (صلواتك) بصيغة الجمع . وقرأه حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف (صلاتك) بصيغة الإفراد . والقراءتان سواء لأن المقصود جنس صلاته E . فمن قرأ بالجمع أفاد جميع أفراد الجنس بالمطابقة لأن الجمع المعرف بالإضافة يعم ومن قرأ بالإفراد فهمت أفراد الجنس بالالتزام .

(ألم يعلموا أن ا هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن ا هو التواب الرحيم)